قصص الأنبياء

نوح عليه السلام

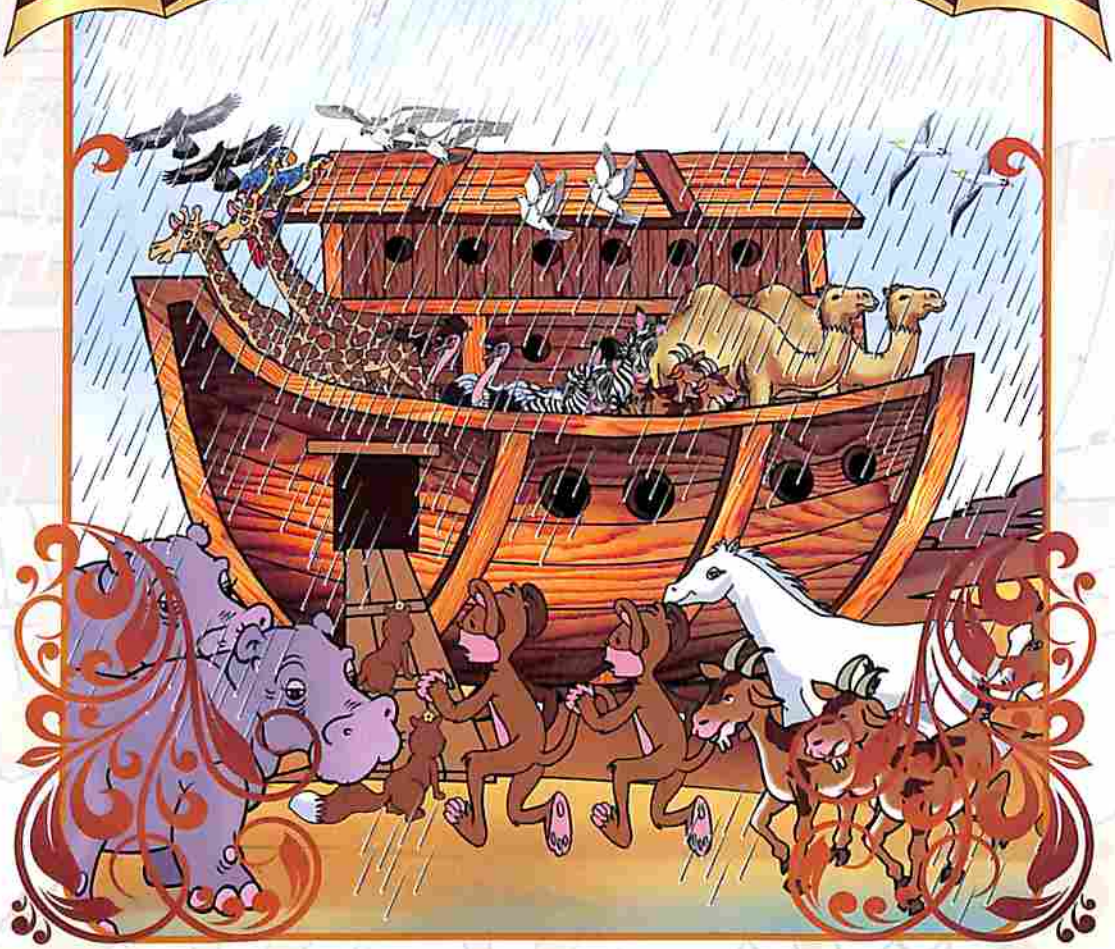

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربى الحديث

نوح (عليه السلام)

بَعْدَ آدَمَ (عليه السلام) عَاشَ النَّاسُ عَشْرَةَ قُرُونٍ كُلَّهَا عَلَى التَّوْحِيدِ الخَالِصِ، وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَه، وَلَكِنَّ إبْلِيسَ اللَّعِينَ أَضَلَّ النَّاسَ بَعْدَهَا، وَخَدَعَهُم بِأَنْ صَنَعَ لَهُم

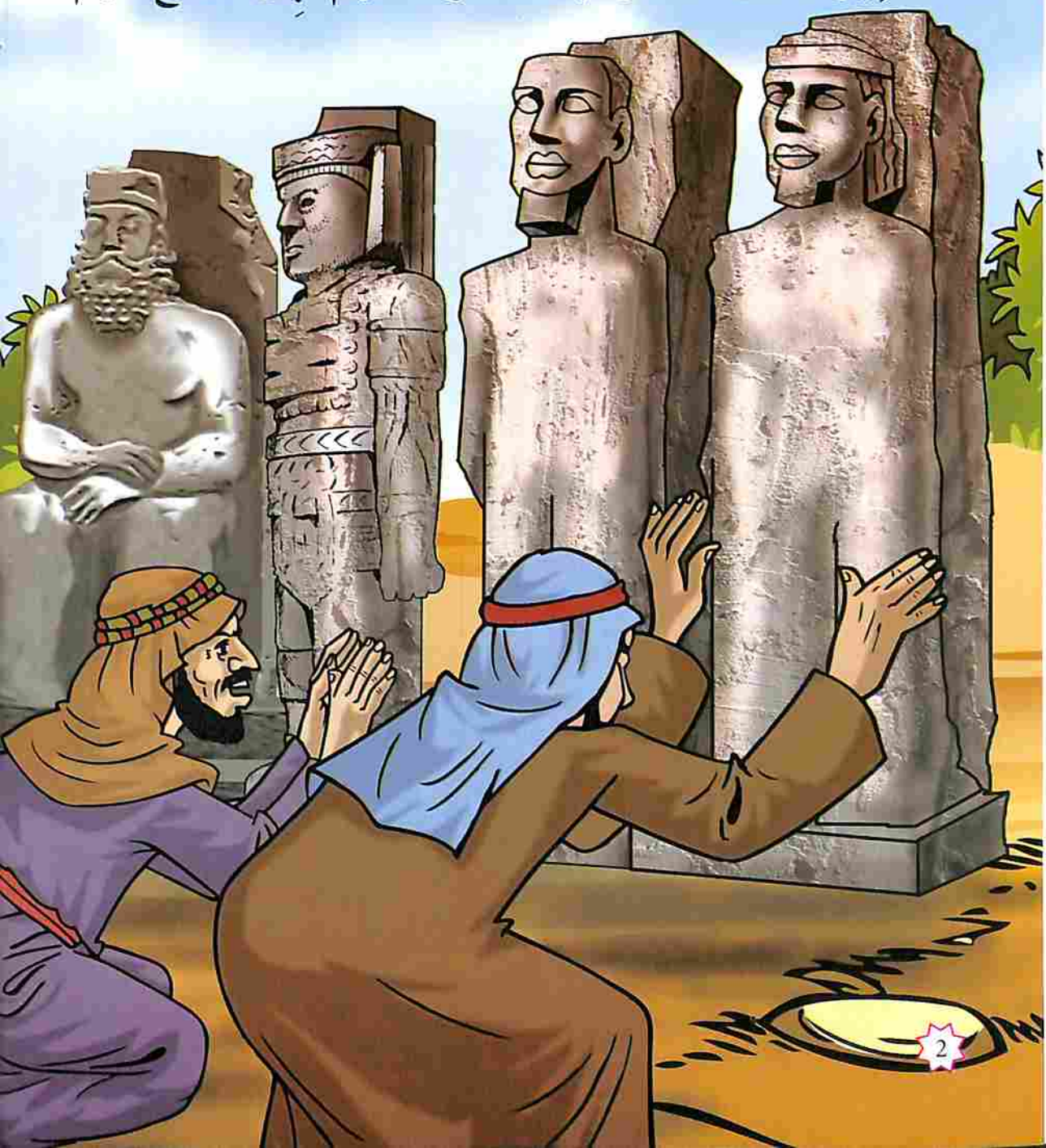

خَمْسَةَ تَمَاثِيلَ لِخَمْسَةِ رِجَالٍ صَالِحِينَ ، هُم: وُدٌّ ، وَسُوَاعٌ ، وَيَغُوثُ ، وَيعُوقُ ، ونَسْرٌ . وَعَبَدَ النَّاسُ هَذِهِ التَّمَاثِيلَ مِنْ دُونِ اللهِ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَبْدَهُ الصَّالِحُ نُوحًا (عليه السلام) رَسُولاً إِلَى قَوْمِه ، لِيُنْذِرَهُم وَيَدْعُوَهُم إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَه. فَقَالَ لَهُم: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} (الأعراف :٥٩) .

إنَّ مَا تَعبُدُونَهُ حِجَارَةٌ، لا تَنفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَلَيسَتْ بِآلِهَة، إنَّهَا ... قَاطَعَهُ بَعضُهُم - بِغَضَبٍ - : كَيْفَ تَجرُؤُ عَلَى سَبِّ آلِهَتِنَا العِظَام؟ إنَّكَ رَجُلٌ ضَالّ.

فَأَجَابَهُم نُوحٌ (عليه السلام) بِكُلِّ أَدَبِ الأَنبِيَاءِ العَظِيمِ إنَّمَا أَنَا رَسُولُ اللهِ إلَيْكُم.

عِنْدَ ذَلِكَ ضَحِكَ القَوْمُ وَقَالُوا : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ إلَيْنَا؟! إنَّكَ بَشَرٌ مِثلُنَا ... ثُمَّ تَرَكُوهُ وَانصَرَفُوا.

وَجَاءَهُم بَعْدَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُم : أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ وَنَاصِح ، وَأَنصَحُكُم أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ الوَاحِدَ . . .

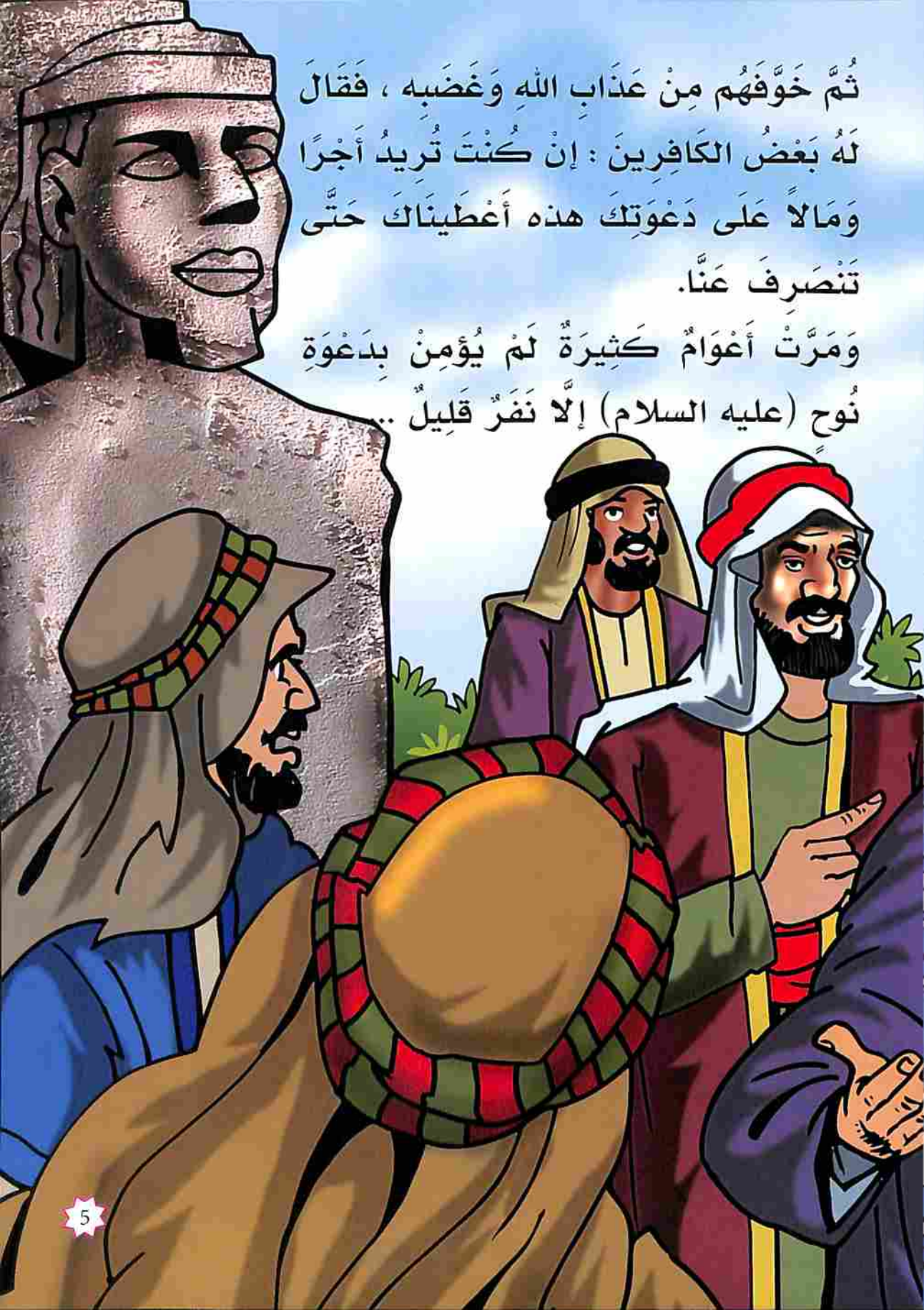

ثُمَّ خَوَّفَهُم مِنْ عَذَابِ اللهِ وَغَضَبِه ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الكَافِرِينَ : إنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَجْرًا وَمَالاً عَلَى دَعْوَتِكَ هذه أَعْطَينَاكَ حَتَّى تَنْصَرِفَ عَنَّا.

وَمَرَّتْ أَعْوَامٌ كَثِيرَةٌ لَمْ يُؤمِنْ بِدَعْوَةِ نُوحٍ (عليه السلام) إلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ ..

وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَيْئَس، بَلْ ظَلَّ يَدْعُو لِدِينِ الله ، وَيُذَكِّرُ قَوْمَه بِيَومِ القِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ، وَلَكِنَّهُم لَمْ يَسْتَمِعُوا لِدَعْوَتِه ...

وَجَدَ نُوحٌ (عليه السلام) أَنَّ عَدَدَ المُؤْمِنِينَ كَمَا هُوَ ، بَيْنَمَا عَدَدُ الكَافِرِينَ فِي ازْدِيَادٍ مَعَ مُرُورِ السَّنَوَاتِ . . .
وَرَغمَ ذَلِكَ وَاصَلَ دَعْوَتَهُ، وَكَانَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَومِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حتَّى يُبَيِّنَ لَهُم خَطَأَهُم فِي عَدَمِ الإيمَانِ بِاللهِ.
وَمَرَّتْ سَنَوَاتٌ عَدِيدَةٌ أُخْرَى، وَاصَلَ نُوحٌ (عليه السلام)

دَعْوَتَهُ إِلَى اللهِ حَتَّى مَرَّتْ تِسْعُمِائَةٌ وَخَمسُونَ عَامًا دُونَ أنْ يُؤمِنَ بِهِ إلَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلُ.

وَكَانَ نُوحٌ (عليه السلام) يَدْعُو قَوْمَهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَجَاءَ يَومٌ أَوْحَى اللهُ فِيهِ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ لَنْ يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِهِ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فِعْلاً، عِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَ نُوحٌ (عليه السلام) يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَدَعَا عَلَى الكَافِرِينَ

قَائِلاً: يَا رَبّ، لا تَدَعِ الكَافِرِينَ فِي كَثْرَةٍ هَكَذَا، فَهُم لا نَفعَ مِنهُم، بَل إنَّهُم يُضِلُّونَ عِبَادَكَ المُؤمِنِينَ، وَنَسلُهُم كَافِرٌ مِثلُهُم، ثُمَّ دَعَا لِنَفْسِهِ وَلِلمُؤمِنِينَ بِالمَغْفِرَةِ.

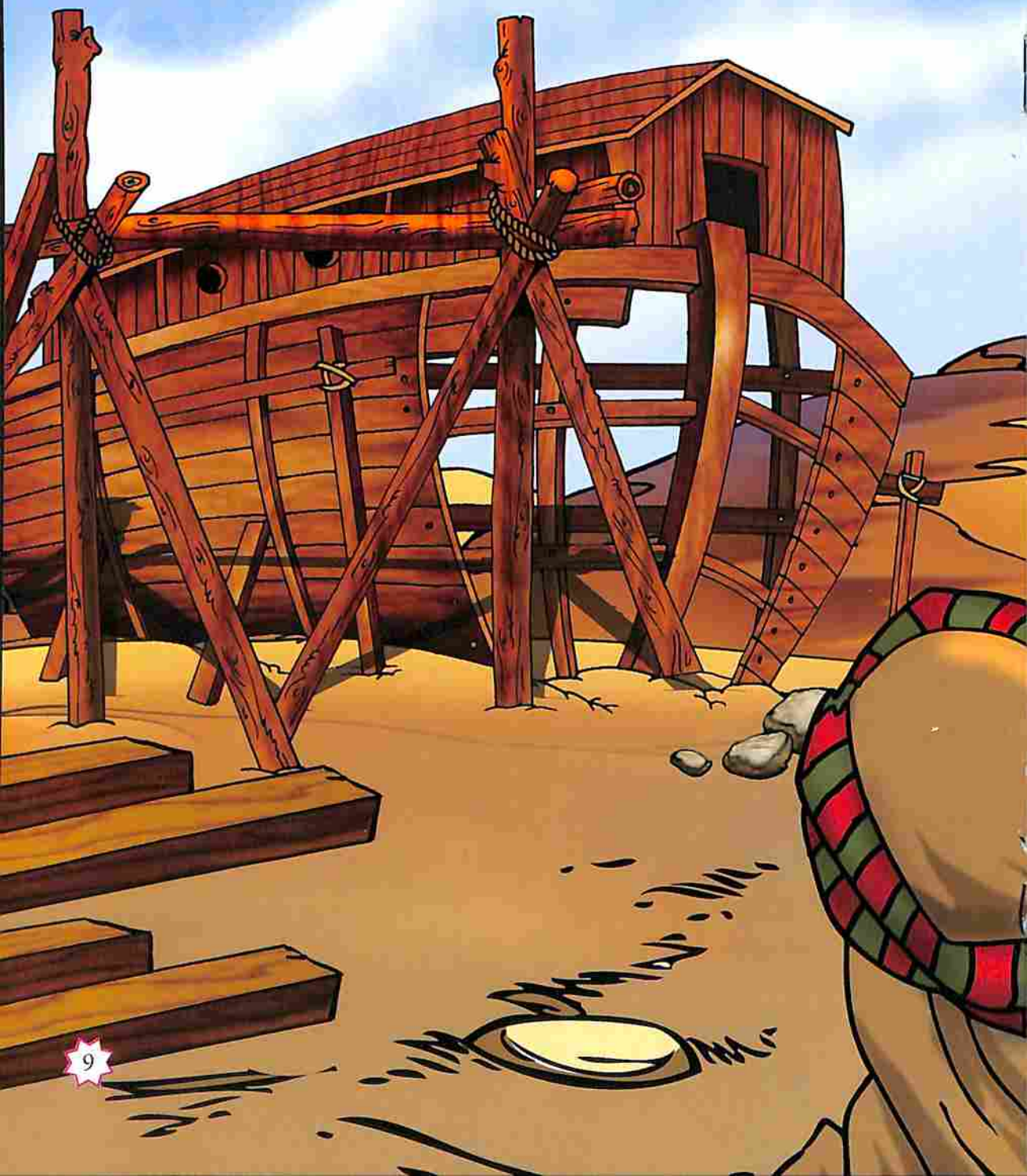

وَاسْتَجَابَ اللهُ -تَعَالَى- لدُعَاءِهُ، وَأَمَرَهُ بِصُنْعِ سَفِينَةٍ ضَخْمَةٍ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ كَيْفَ يَصْنَعُهَا، وَاكْتَمَلَتْ صِنَاعَةُ الفُلْكِ العَظِيم، وَجَاءَ أَمْرُ اللهِ.

أَوْحَى اللهُ إِلَى نُوحٍ (عليه السلام) أَنَّهُ سَيُغْرِقُ جَمِيعَ الكَافِرِينَ عَلَى الأَرْضِ، وَأَمَرَهُ حِينَ يَبْدَأُ الطُّوفَانُ بِأَنْ يَرْكَبَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي السَّفِينَةِ، وَأَنْ يَأْخُذُوا مَعَهُمْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ وَالنَّبَاتَاتِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى.

وَجَاءَ يَومٌ خَرَجَ فِيهِ المَاءُ بِقُوَّةٍ مِنَ الأَرْضِ، وَنَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ سَيْلٌ مُنْهَمِرٌ، عِنْدَ ذَلِكَ أَسْرَعَ نُوحٌ (عليه السلام) وَالمُؤمِنُونَ مَعَهُ لِرُكُوبِ السَّفِينَةِ، وَأَخَذُوا مَعَهُم مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ - تَعَالَى - ، وَرَكِبَ مَعَ نُوحٍ (عليه السلام) أَبْنَاؤُهُ الثَّلاثَةُ المُؤْمِنُونَ: سَامُ

وَحَامُ وَيَافِث، وَلَمْ تَرْكَبْ زَوْجَتُهُ لأَنَّهَا كَانَتْ كَافِرَةً، وَكَانَ لِنُوحٍ ابْنٌ رَابِعٌ، لَكِنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا يُظْهِرُ الإِيمَانَ لأَبِيهِ، وَيُخْفِي الكُفْرَ.

وَزَادَ المَاءُ حَتَّى غَطَّى البُيُوتَ، وَجَرَتِ السَّفِينَةُ ...

وَنَظَرُ نُوحٌ (عليه السلام) فَوَجَدَ ابْنَهُ الرَّابِعُ لَمْ يَرْكَبْ مَعَهُم، فَنَادَاهُ : يَا بُنَيّ، ارْكَبْ مَعَنَا وَكُنْ مَعَ المُؤمِنِينَ.

فَرَدَّ عَلَى أَبِيهِ وَهُوَ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ: سَأَصْعَدُ أَعْلَى جَبَلٍ بَعِيدًا عَنِ المَاءِ.

فَنَادَاهُ أَبُوهُ مَرَّةً أُخْرَى بِكُلِّ شَفَقَةٍ : يَا بُنَيّ، لَنْ يَحْمِيَكَ شَيْءٌ مِنْ الطُّوفَانِ إِلَّا هَذِهِ السَّفِينَةُ.

وَفَجْأَةً أَتَتْ مَوْجَاتٌ عَالِيَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمَا، وَقَطَعَتْ حِوَارَهُمَا، وَغَرَقَ الابْنُ مَعَ الكَافِرِينَ، وَابْتَعَدَتِ السَّفِينَةُ وَهِيَ تَجْرِي بِالمُؤْمِنِينَ فِي مَوْجٍ كَالجِبَالِ.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ رَسَتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلٍ يُسَمَّى «الْجُودِيُّ»،

وَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ أَنْ تَبْتَلِعَ المَاءَ، وَأَنْ تَكُفَّ السَّمَاءُ عَنِ المَطَرِ، وَتَذَكَّرَ نُوحٌ (عليه السلام) ابْنَهُ الَّذِي غَرِقَ مَعَ الكَافِرِينَ، فَنَادَى اللهَ -تَعَالَى- قَائِلاً: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي بِنَجَاةِ جَمِيعِ أَهْلِي، وَابْنِي مِنْ أَهْلِي، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْجُ، بَلْ غَرِقَ، وَإِنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ.

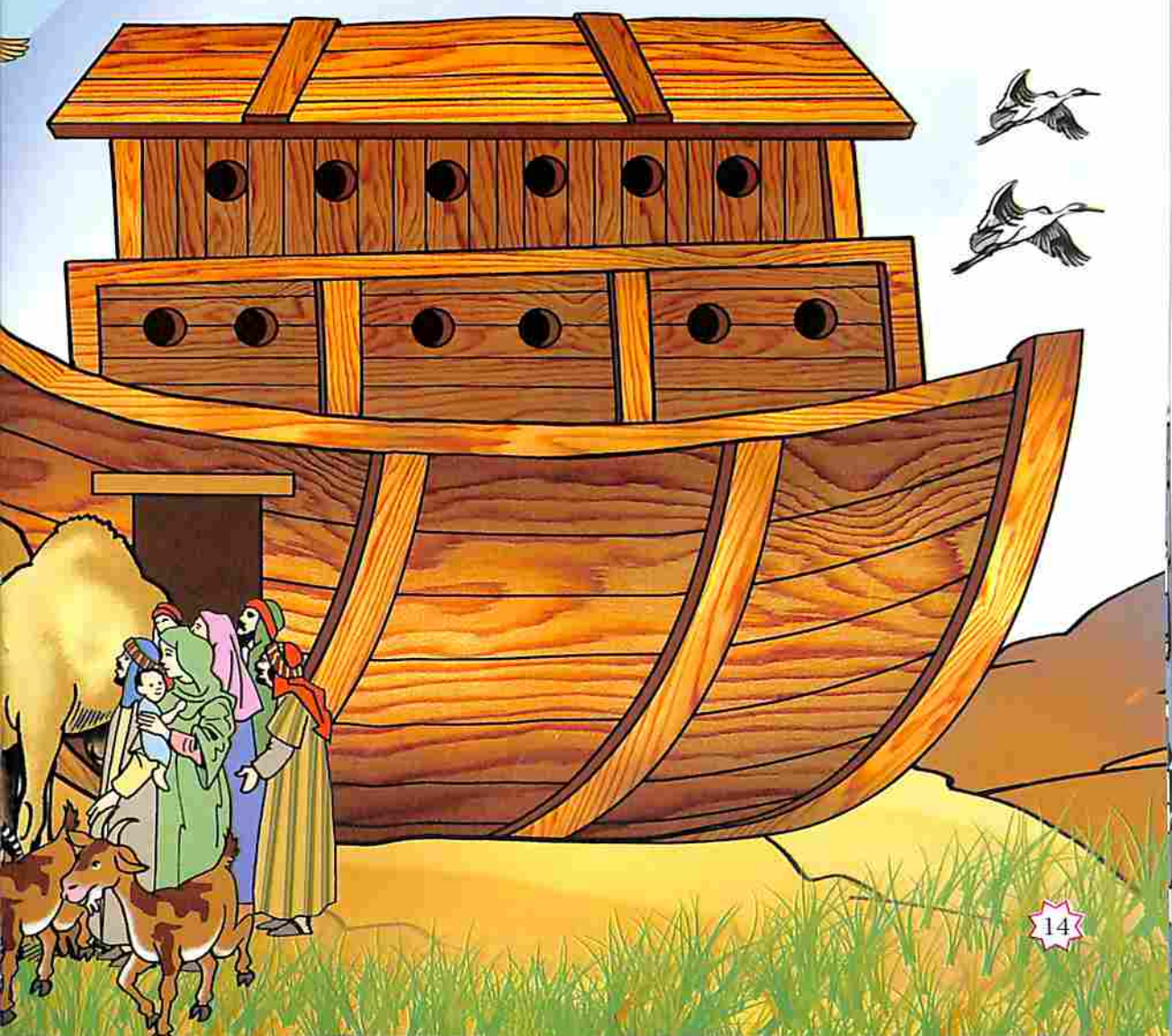

فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ بِأَنَّ ابْنَهُ كَانَ كَافِرًا، وَأَنَّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، إِنَّمَا أَهْلُهُ هُم الَّذِينَ آمَنُوا بِرِسَالَتِهِ وَدَعْوَتِهِ.

وَهَبَطَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلامُ-، وَالمُؤمِنُونَ الَّذِينَ مَعَهُ بِسَلامَةِ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ، ثُمَّ أَطْلَقَ نُوحٌ (عليه السلام) الحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورَ لِتَتَوَزَّعَ فِي الأَرْضِ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ الطُّوفَانِ، وَلِكَي تَنْمُوَ وَتَتَكَاثَرَ حَتَّى لا تَنْقَرِضَ.

وَعَاشَ نُوحٌ (عليه السلام) بَعْدَ الطُّوفَانِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ يَعِظُ النَّاسَ وَيَحثُّهُم عَلَى طَاعَةِ اللهِ - تَعَالَى - وَحْدَهُ حَتَّى انْتَقَلَ إِلَى جِوَارِ ربِّه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - رضى الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) :

«يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى - : هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم) وَأُمَّتُهُ؛ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

المركز العربى الحديث
103شارع الامام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com